

1. مقدمة:

على الرغم من كل الاختلافات التي تحملها التعريفات التي أعطيت للحجاج، فإنها تكاد تتفق على أن الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، وعلى هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل والممكن والتقريبي والخلافي والمتوقع وغير المؤكد...، وأن يبنى على التفاعل والاختلاف في الرأي، وأن يظل مفتوحا أمام النقاش والتقويم... وأن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه ولا إلزام.

إذن فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا، وأساسا، بواسطة سياق هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها.

و نظرا للأهمية البالغة لنظرية الحجاج الحديثة في استقرار تراثنا العربي، ارتأينا البحث في آليات تطبيقها على أثر أحد أبرز أعلام الفكر الأندلسي وهو ابن حزم الأندلسي الظاهري في محاولة منا لرصد كيفية اقناع المتلقي والبحث في مكان الطاقات الحجاجية لدى ابن حزم؛ وعليه نطرح الاشكالية التالية :

- ما هي أهم السياقات الحجاجية التي جعلت حجة ابن حزم أكثر بلاغة؟

ولكي نجيب عن هذه الاشكالية وضعنا الفرضيات التالية:

-هل للسياق دور في جعل حجاج ابن حزم أكثر بلاغة؟

-أم أن بلاغة الحجاج هي التي أبانت عن جمال السياق؟

-أم أن أسلوب ابن حزم هو من ساهم في تبيان قوة الحجة؟

-أم أن تضافر كل هذه الأمور جعل من حجة ابن حزم أكثر بلاغة؟

ونسعى من خلال هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

- الحجاج هو من يمكن الكاتب من إيصال مقاصده.

- قوة الحجاج تكمن في تدعيم قول الكاتب من جهة ومن جهة أخرى اقناع المتلقي.

- الحجاج لا يضيف قيمة جمالية للسياق فحسب بقدر ماله قيمة بلاغية وتأثيرية.

ولأن ابن حزم معروف بطبعه العقلي، ومنهجه النقدي، مع دقة أسلوبه وغازة فكره جاء بحثنا لتطبيق منهج من مناهج التداولية، والمتمثل في الحجاج، باعتباره أحد مباحثها على رسالة "طوق

الحمامة في الألفة والألاف"، وقد وقع اختيارنا على هذه المدونة لما تحويه من لغة راقية وأسلوب شيق يثير المتلقي.

2. مفهوم الحجج

1.2 لغة:

أ- في المعاجم العربية:

يعرفه ابن منظور في مادة "حجج" بقوله: "الحجة البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم"¹؛ وقال الفيروز أبادي: "والحجة بالضم البرهان: والمججاج الجدل"².

ب- في المعاجم الغربية:

أخذت كلمة argument من الفعل اللاتيني arguere، وتعني جعل الشيء واضحاً ولامعاً وظاهراً، وهي بدورها من جذر إغريقي (argues) ويعني لامعاً³.

ويشير المصطلح argue في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما⁴.

ويحدد لالاند⁵ معنى الحجج من خلال تقديم المعطيات التالية:

- الحاجة أو الحجج: هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها، ويرى أن الحجج طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها.

- الحجة: ويعتبرها بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها، أو تنفيذها، ويرى - من ناحية أخرى - أن هناك من يعتبر كل حجة دليلاً.

- الدليل: إنه عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة. وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها. ... الدليل من جهة أخرى إلى الواقع، ليأخذ من ثمة مضمونا ماديا تصبح بموجبه الوقائع والأحداث والوثائق بمثابة أدلة. ويتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة. إذ إن كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقياً.

- البرهنة: هي استنباط يوجه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة، وذلك بالاستناد إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة.

2.2 اصطلاحاً: إن الحجج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجازات تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجج في إنجاز متتاليات من

الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. وتهتم البلاغة الجديدة بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور"⁶

إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا، و أساسا، بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها.⁷

وتقوم نظرية الحجاج -حسب ما يرى "دان سيربر"- على أن المنطق لا يساعد الأشخاص في اتخاذ القرارات، وأن التفكير يقتصر في وظيفته على إقناع الآخرين، وتقييم حججهم، وأن الإنسان بحاجة إلى بذل مجهود ذهني؛ لإقناع الناس بالفكرة التي لديه، من خلال أسلوب الخطابة، وتقديم البراهين، والأسباب التي تؤكد أنه على صواب، بمعنى أن الحجج التي يجب عليه تقديمها، يجب أن تكون لجانبه ومؤيدة لأفكاره، كما تؤكد نظرية الحجاج أن للناس قدرة على التفكير بشكل جماعي؛ للتوصل إلى الحل الصحيح.

3.2 الحجاج عند ابن حزم: لقد ربط ابن حزم الحجاج بالفلسفة فقال: "أليست الفلسفة موقوفة على البراهين المفرقة بين الحق و الباطل". وهذا يعني أن ابن حزم يتبع منهجا فلسفيا قائما على المنطق في استعمال البيان مستغلا السياق التاريخي لترسيخ الأمثلة، باعتبارها أدوات حجاجية تدعم القضية المتناولة بالدراسة. وهذا يشبه الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتكاه" في بحثهما عن القياس والشاهد وغيرها من مستلزمات الدرس الحجاجي التداولي اليوم.⁸

3. المبادئ الحجاجية:

وجود الروابط و العوامل الحجاجية لا يكف لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكف أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة و النتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي. هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا، ولها خصائص عديدة نذكر منها ما يلي:⁹

أ- إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ت- التدرجية: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين (العمل – النجاح) مثلا.

ث- النسبية: فالإ جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد و غير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر

مناقض له. فالعمل يؤدي إلى النجاح ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب¹⁰.

4. الروابط والعوامل الحجاجية:

لقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. نذكر من هذه الذوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما...إلا...

إن هذه الأدوات التي دفعت "ديكرو" و"أنسكومبر" إلى رفض نموذج "شارل موريس" و الدفاع عن فرضية التداوليات المدمجة. وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بتمتمته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها¹¹.

العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر.

أما الرابط الحجاجي (حروف العطف، الظروف...) فهو يربط بين وحدتين دلالتين، أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية، أما في التصور السابق، فقد كنا نقول إنه يربط بين قولين أو أكثر، وقد تم التخلي عن هذا التصور لأن ظاهرة الربط جد معقدة، ولأن الربط بين الأقوال ليس إلا حالة خاصة، فقد يربط الرابط بين قولين وقد يربط بين عناصر غير متجانسة، كأن يربط مثلا بين قول وقولية، أو بين قول وسلوك غير كلامي، إلى غير ذلك من الحالات الممكنة¹².

5. بلاغة الحجاج في طوق الحمامة في الألفة والألف لابن حزم الأندلسي:

1.5 الحجاج في باب: الكلام في ماهية الحب: هذا الباب هو الباب الأول في الكتاب، وبما أن الكتاب رسالة، فقد جعل ابن حزم له صدرا أسماه ب "صدر الرسالة" وجعل هذا الصدر ضمن الباب.

ينبني هذا الباب على ثلاث حركات حجاجية، وهي بمثابة بنى حجاجية، تنطلق الحركة الحجاجية الأولى من أول النص (الباب) بداية من قوله: "الحب-أعزك الله- أوله هزل و آخره جد..." إلى قوله: "هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود"¹³. وتمثل هذه الحركة الحجاجية الأولى التي يريد الكاتب الأقناع بها.

أما الحركة الحجاجية الثانية: فتبدأ من قوله: "وقد اختلف الناس..." إلى قوله "عذمتنا ما له وجد"؛ و تبدأ الحركة الحجاجية الثالثة من قوله: "ومما يؤكد هذا القول أننا علمنا أن المحبة ضروب..." إلى قوله: "استحسان روحاني، وامتزاج نفسي". يلي هذه البنى الحجاجية، التبكيك المسبق مكان الحجاج

المضاد (حجاج الخصم المحتمل). و يبدأ من قوله: "فإن قال قائل" إلى آخر الباب الأول "العشق منذ بدأ الخلق".

وما يمكن قوله أن النص ينطلق من حكم يورده الكاتب ليشكل أطروحة يريد الإقناع بها. ومفاد هذه القاعدة أن الحب ليس محرما ولا هو منكر في الدين "وليس بمنكر في الديانة ولا بمحضور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل"¹⁴

فهذه العاطفة تتخذ معنى الحتمية التي تنتزع من الإنسان عملية الاختيار، وهذا ما جعل الكاتب يدعم هذه المقولة بواسطة الحجج التالية:

أ- حجة التحديد: "القلوب بيد الله. فالله مالك الدنيا ومالك كل شيء. و إذن فهو مالك للقلوب" وهذه الحجة تعتمد على انتماء المعطى .

ب- حجة الأنموذج: وقع في الحب أناس ليسو من عامة الناس. "الخلفاء الراشدين" و "كبار الرجال و دعائم الدولة" وكذلك منهم "الصالحون و الفقهاء".

ت- حجة الكم: هؤلاء الرجال الذين يمثلون نماذج سياسية و دينية وهم كثيرون: "وقد أحب من الخلفاء المهديين و الأئمة...كثير". "فأكثر من أن يحصوا"...هذه الحجة، أصلها فلسفي يعيد "الأكثر" إلى "الأنف".

ث- حجة الشاهد: وتتمثل في إيراد الكاتب الفتوى التي قدمها "ابن عباس رضي الله عنه مالا يحتاج معه إلى غيره حين يقول: "هذا قتيل الهوى، لا عقل ولا قود" فصاحب هذا الشاهد له سلطة دينية وفقهية عالية.

ج- الحجة بالمثّل: وتتمثل في مجموع القصص التي أوردها الكاتب حول هؤلاء الخلفاء وغيرهم من الذين وقعوا في الحب. وهي قصص تستند إلى الواقع.

- طبيعة الحجج وترتيبها

مما يلاحظ من خلال ابن حزم هذه الحجج أنها متنوعة و مختلفة المصادر. فهناك حجة عقلية (4) وحجة عقلية (1) إذ ما دمنا نسلم بالكل فيجب أن نسلم بالجزء المتكون منه. و توجد كذلك حجتان مستمدتان من الواقع الذي يمثل حجة قريبة من الجمهور (2و5). كما عمد الكاتب إلى إيراد حجة يعود أصلها إلى الفلسفة (3).

و نلاحظ أن الكاتب قد أورد هذه الحجج وفق نظام مخصوص فهي تتدرج من العام إلى الخاص. فعاطفة الحب بيد الله: السلطة الأولى واللامتناهية. تليها سلطة الأنموذج (الخلفاء...) ثم تتدرج شيئا فشيئا نحو الكم للتخصيص. ويحتوي هذا التدرج تدرجا آخر يتمثل في انفصال ما هو معنوي عن

المادي المحسوس القابل للعد. "الأئمة الكثيرون". هذا التدرج ينتهي إلى الحجة بالمثل وهي الأقرب على الملموس.

النتيجة:

وهي المقتضى. إن المتمعن في أطروحة ابن حزم وفي حججه يستشف أكثر من معنى مخفي وراء قوله. فهو في الظاهر لا ينكر مسألة الحب ولا يحرمها. غير أننا إذا تمعنا في القول فسننتبين أنه لا يبيحها ولا يحللها تماماً. وهذه حلقة من الحلقات الخفية التي تشد المسار الحجاجي في النص.

إن الكاتب نزع عن نفسه مسؤولية الإقرار "بشرعية الحب". ولكن ذلك كان في الظاهر فقط. فإذا تتبعنا الخيط المكون لسلسلة الحجج، فإننا نتبين أنه في كل مرة يتحدث فيها عن النساء اللواتي أغرم بكل منهن خليفة أو حاكم... يقدم هذه المرأة من تكون. وقد لاحظنا من خلال النص أن جل هؤلاء النساء كن زوجات لهم. بل هن أمهات. "طروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس..." غزلان أم بنيه عثمان والقاسم.. صبح أم هشام المؤيد بالله... وامتناعه عن التعرض للولد من غيرها... حمله حينها أن يتزوجها"¹⁵.

على هذا النحو، يصبح الملفوظ الحجاجي الذي تقوم عليه هذه الأطروحة هو التالي: الحب ليس محرماً ولكنه مرتبط بالزواج والإنجاب ولدينا في الخلفاء الراشدين والأئمة خير دليل...

المخطط الحجاجي في طوق الحمامة:

اعتمد ابن حزم في هذه الأطروحة على البدء بتعريف الحب. وقد عمد في مخطوطه إلى الإعلاء من شأن الموضوع المطروح "دقت معانيه لجلالته"

ومن بين الخطط الحجاجية المعتمدة أيضاً نذكر خطة التعميم "وقد أحب من الخلفاء... كثير" أما الخطة التي ارتكز عليها أكثر من غيرها هي اعتماده الدين دائرة حجاجية لم يخرج عنها ولم يتجاوزها منذ بداية الأطروحة إلى نهايتها. فيقول "وإنما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء الدين"¹⁶. إلا أن اعتماده الخطة الأخيرة لم يكن منحصرًا في هذا القول وإنما يمثل في نظرنا استراتيجية اتخذها في كامل الأطروحة، وذلك يتمثل في التشديد على اختيار أمثلة من رجال الدين والفقهاء واعتماده الفتوى.

كما عمد ابن حزم إلى استدراج المتلقي بضمه إلى دائرة الخطاب. وذلك بتوحيده مع المتكلم مستعملاً ضمير "نحن" "منهم بأندلسنا". إذ كان بإمكانه أن يذكر المكان دون تخصيص. فهذا الجمع يمثل حجاجياً، نوعاً من الاحتواء.

و يعد الجمع بين الماضي و الحاضر عند الحديث عن تجارب رجال الدين من قبيل خطة حجاجية يراد بها الإقناع. فهذا الجمع بين الأزمنة يكسب الخطاب نوعا من الشمولية و من ثمة الإطلاق. فابن حزم يريد أن يجعل من الحب مسألة عامة مطلقة في الزمان و المكان.

صبيغ الحجاج و تراكيبه و بلاغته:

يعد النفي، أسلوبا بارزا في هذه الأطروحة وهو متواتر. كما يعد جهة تعبيرية ذات دور حجاجي في عرض المعطيات. فهو كما يقول عنه عبد الله صولة "هورد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير. فقد كان برقسون يرى أن الفكر السالب، لا يكون إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج"¹⁷ فابن حزم منذ البداية يستعمل النفي "فلا تدرك" و "ليس بمنكر"..." "لم ير" "لم يكن له"... ويعد التراص أسلوبا بارزا لدى ابن حزم وهو ذو عمل حجاجي. ويكون التراص بواسطة طرائق الربط والاستئناف. فهي: "تبني النتيجة على السبب أو تحدث هرمية في شأن القيم (مثل الواو، أو، لكن..."¹⁸ يبرز في النص خصوصا عند تعداد أعلام الدين و الفقهاء.

ويعد التأكيد بأنواعه من بين أبرز الأساليب الحجاجية. فهو لا يترك للسامع مجالا ليشتك فيما يقوله الباحث. هذا نجده جليا عند استعمال الكاتب أدوات منها: "إنما" "قد" (عدة مرات) "لام التوكيد" (لأوردت).

أما التفصيل فهو كذلك بمثابة أداة أسلوبية حجاجية يعتمد المتكلم الذي يستعملها إلى رفع الإبهام بواسطتها. فالتفصيل هو عكس الغموض و من ثمة كانت حجاجيته ("وأما كبار رجالهم"¹⁹...).

كما تعد الاستعارة من بين الصور البلاغية التي تضطلع بوظيفة حجاجية. إذ أنها تمس خيال المخاطب و من ثمة أهواءه. فالأهواء وتر حساس بإمكان الخطيب أن يستغله. و لدينا في هذا النص أمثلة من الاستعارة نذكر منها قوله "دقت معانيه". و كذلك التشبيه فله الوظيفة الإقناعية نفسها للاستعارة.

و من الأمثلة الدالة على ذلك: "ومثل هذا كثير" و "مما يشبه هذا" و تعد الكناية أيضا بما هي وجه بلاغي، آلية الحجاج لا تقل أهمية عن الاستعارة و التشبيه.

و لدينا في النص مثال: ("دعائم الدولة") فالكاتب يكتفي عن رجال مهمين في الدولة بإيراده صورتي "البناء" و "الأسس" لما لهما من قيمة. و في هذا السياق بالضبط يمكن الحجاج.

ونشير كذلك إلى استعمال ابن حزم ظاهرة الالتفات في الأزمنة و في الضمائر. وقد اعتبر كل من بيرلمان و تيتيكاه الالتفات أسلوبا بلاغيا لا يخلو من الحجاج. إذ يحقق الالتفات مفهوم الكلية بجمعه للضمائر و الأزمنة بفضل تجاوزها حينا و العودة إليها حينا آخر. و لدينا في النص أمثلة على ذلك. فابن حزم يذكر "أندلسنا" و فيها إحالة على الجمع ثم يعود ليتحدث عن نفسه "لأوردت" "أخبرني".

كما يراوح بين الضمير المخاطب في "أعزك الله" وبين ضمير المفرد الغائب "أحب" وكذلك ضمير الجمع الغائب "حقوقهم" ثم يعود إلى ضمير "نحن" في عبارة "شاهدناه". وهذا ما يقوي الحجاج. فحين يتحدث عن تجربته يستخدم ضمير المتكلم وحين يورد الملاحظ يستعمل ضمير الجمع، كما بينا أنفاً، ليجعل المخاطب طرفاً في الخطاب...

أما بخصوص الالتفات في الأزمنة، فهو واضح وجلي. فأحياناً يستعمل الماضي "دقت" وأحياناً يستعمل المضارع "نذكر"... والأمثلة على ذلك عديدة. ومما يلاحظ في هذا السياق المراوحة بين بناء الأفعال للمعلوم حيناً وللمجهول حيناً آخر. "توصف" "يحصوا" "يحتاج"، فهذا النوع من الأفعال لا يتم بفاعل بل إن فاعله يقع في حدود المحتمل والعام، وهنا تكمن حجاجيته.

2.5 الحجاج في باب علامات الحب:

تقديم الباب:

هذا هو الباب الثاني من الكتاب. عدد فيه ابن حزم علامات الحب وقد قسمها إلى نوعين: الأول "تأجج نار الحب" والثاني: بعده والنص في مجمله يقوم على التفصيل "للحب علامات: منها، و منها ومنها...".

للحب علامات متضادة. والأضداد أنداد والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها، تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام²⁰

الحجج:

أ- حجة المقارنة: "الضد ند" شأنه شأن ما يمكن أن يحدث في الطبيعة فالثلج تتحول برودته إلى حرارة شديدة إذا أطل الإنسان مسكه بيده...

ب- حجة الكم: وجود هذه الحالة سالف الذكر، كثيرة في حياة الإنسان.

ت- حجة التحديد: نجد المتحايين إذا كثرت محبتهم لبعضهما البعض تضادا في القول والفعل.

طبيعة الحجج وترتيبها:

أدلى ابن حزم بحجج تراوحت بين الحجج ذات المصدر العلمي التجريبي (حجة المقارنة1) وبين الحجج ذات المصدر الواقعي (حجة الكم2) و(حجة التحديد3). و مرة أخرى يتبين لنا كيف يراوح ابن حزم بين العلم والواقع لبلوغ غاية الإقناع. فهو لا يكتفي بنوع واحد من الحجج. ولقد اعتمد ترتيباً مخصوصاً إذ بدأ بالحجة العلمية ثم دعمها بالواقع وهذا ما يمثل المنهج الاستقرائي الذي تحدث عنه أرسطو وكان ابن حزم قد أخذه عنه.

النتيجة:

لئن كان "قانون العبور" يقوم على تبيان تحول الضد إلى ضده في الحب: أي إذا بلغ الحب درجة تنتهي فيها حدوده، شأنه في ذلك شأن مختلف الظواهر التي نتعرض لها في الطبيعة... فإن مقتضى الكامن وراء الخطاب المباشر يصبح كالتالي:

إذا قبلنا بأن الشيء إذا اشتد انقلب إلى ضده، وكذلك الحب، فإن هذا يجعل من الحب أمرا خاضعا لمبدأ الإفراط. والإفراط متصل باعتلال العقل أو باختلال موازينه.

3.5 الحجاج في باب الإذاعة:

تقديم الباب:

هذا الباب هو باب مركز حجاجيا. ذلك أنه يلخص أهم ركائز الفكر الظاهري في نظر ابن حزم. فهو يبنى أساسا على 3 ركائز حجاجية وهي بمثابة التوجهات. ويمكن أن تتناولها بالتحليل على أساس أنها تمثل أطروحات في النص.

إن الشخص الذي "يذيع" قصة حبه أمام الجميع له أسباب تدعوه لذلك. والإذاعة مرفوضة عند الكاتب على أية حال. إذ يقول عنها "وقد تعرض في الحب الإذاعة وهو من منكر ما يحدث"²¹.

ومن بين أسباب الداعية "للإذاعة" "غلبة الحب". ويمثل هذا الحب الموجب للإذاعة، إذ يقول ابن حزم في شأن ذلك: "وربما كان من أسباب الكشف، غلبة الحب، وتسور الجهر على الحياء. فلا يملك الإنسان حينئذ لنفسه صرفا ولا عدلا. وهذا من أبعد غايات العشق، وأقوى تحكمه على العقل، حتى يمثل الحسن في تمثال القبيح، والقبيح في هيئة الحسن. وهنالك يرى الخير شرا، والشر خيرا"²².

الحجج:

- أ- حجة التحديد: يوجد أناس مصونو الستر، كشفهم فرط الحب.
- ب- حجة الكم: وهي ضمنية أي داخل حجة التحديد: هؤلاء الناس هم كثيرون يقول عنهم الكاتب: "كم مصون الستر..."²³
- ت- حجة الأنموذج: وهي تمثل في النص حجة واقعية تعتمد وقائع فعلية حصلت شخصية يقول عنها "فتى من سروات الرجال"

اعتمد ابن حزم حججا من النوع نفسه ومصدرها الواقع. وقد تدرج من العام إلى الخاص ومثل بوجود الأشخاص الذين يكشفون عن الحب ونبه إلى كثرتهم، ويعتقد أن سبب نقل أخبار الحب وإفشاء سره وإذاعته، هو الإعجاب بذلك والمفاخرة به.

وهذا الباب يمثل توجيها حجاجيا نحو الأخلاق كما يراها ابن حزم، وهذه النتيجة معلنة في النص، إذ يعتبر كشف الحب وجهها من وجوه "العار": يقول: "ولا أدري ما معنى هذا"، ومعنى هذا القول أن المرأة العفيفة تمتنع عن الشهرة في الحب. وهذا التوجيه الحجاجي لمعنى العفة يمثل وجهها من وجوه مفهوم عدم إذاعة خبر الحب. ونكتفي في هذا الباب بتوضيح أن العفة تقع في دائرة المنع من تداول الناس أخبار العشق المتعلقة بالمرأة خصوصا.

وقد اعتمد الكاتب في هذا الباب على أسلوب العرض باستعمال عبارات من قبيل: "من أسباب الكشف" و"ربما كان الكشف" وهو يعتمد على تجزيء الموضوع إلى أجزاء يحتج لكل منها على حدة.

6. خاتمة:

عندما نتحدث عن نجاعة الخطاب، يجرنا ذلك إلى النظر في الحجج و طبيعتها باعتبارها الأساسية في عملية الإقناع. فعندما درسنا الحجج في هذه الأطروحة تبينا تنوع مصادرها. فابن حزم بين النقل والعقل كما راوح بين التجارب الواقعية وبين الأصل الفلسفي للحجة. وهذا ليس غريبا عن "متكلم" متشبع بمبادئ العقل المستمدة من الفكر الفلسفي. فما قدمه ابن حزم من حجج يمكن اعتباره كاف للإقناع؛ وهذا ما جعلنا نتوصل للنتائج التالية:

- للأساليب البلاغية دور بالغ في دعم القوة الحجاجية للخطاب، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى المتلقين.

- تنوع الحجج و بلاغتها فمنها المباشرة والغير مباشرة وهذا يدل على الثقافة الواسعة لابن حزم

- يكتسب الخطاب المبني على الحجاج تعدد القراءات إذ أن كل قراءة هي إضاءة لجانب من جوانبه.

وأخيرا ينبغي الإشارة إلى أن للخطاب وظيفتين دلالتين، وظيفة أصلية قارة، ووظيفة متغيرة تبعا لسياق الاستعمال وهي وظيفة تتحدد حسب الظرف الاستعمالي للمتكلم والمستمع والمقام.

توصية:

ما تزال ملامح التفكير التداولي عند ابن حزم لم تستكمل بعد، ولا بد من تخصيص أبحاث علمية تستنطق النظام المعرفي لهذه الشخصية.

7.الهوامش:

¹ ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، ج2، بيروت، لبنان، ط، 1997، ص28

² الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقسوسي، الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2005، ص183.

³ عبد الرزاق بنور، جدل حول الخطابة والحجاج، الدار العربية للكتاب، ط2008، ص25.

- ⁴ حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، دار الكتاب الحديث، اربد، الأردن، 2010، ص02.
- ⁵ Andréé Lalande.vocabulaire technique et nitique de la philosophie id.puf.p78.79.
- ⁶ شكري المبخوت، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص15
- ⁷ حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، دار الكتاب الحديث، اربد-الأردن، ط1، 2010، ص57.
- ⁸ لعلاونة محمد الأمين: 2018/09/10، المظاهر الحجاجية في رسالة طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي، مجلة البدر، جامعة بشار، العدد17، ص 1040-1049.
- ⁹ للإطلاع أكثر ينظر، ديكرو: مقال: العوامل الحجاجية والقصد الحجاجي، والحجاج والمبادئ الحجاجية .
- ¹⁰ حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص65.
- ¹¹ شكري المبخوت، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 380.
- ¹² حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص64.
- ¹³ ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح، محمد يوسف الشيخ محمد وفريد يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط200. ص 17.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص 19.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص16.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ص16.
- ¹⁷ عبدالله صولة، الحجاج، أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف الحجاج..." مسكيلياني للنشر، تونس، ط2011 ص321.
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 321.
- ¹⁹ ابن حزم، طوق الحمامة، ص16.
- ²⁰ المصدر نفسه، ص38.
- ²¹ المصدر نفسه، ص 58.
- ²² المصدر نفسه، ص58.
- ²³ المصدر نفسه، ص58.